

# المواجهة في العراق والتعلم من اليمن

بقلم: جنائز سكاثر (محلل سياسات الشرق الأدنى)



البلاد، إلا أن السنين ليسوا مستائين من هذا النظام. والأكثر من ذلك أن الشيعة والسنة اليمينيون يؤدون صلاتهم معاً في المساجد.

وبالرغم من أنها تحتضن مشاكل أخرى، فقد وجدت صنعاء طريقة لتقليل الاختلافات الدينية بين اليمينيين، بتركيزها على الهوية اليمنية العامة. لكن من المؤسف أنه لا يوجد في العراق طرق مماثلة للوصول إلى مثل هذا النوع من التوافق والتوازن الاجتماعي بين شيعة وسنة اليمن الذي تطور على مدى مئات السنين في إطار ثقافة فريدة. فاليمن يمكنه أن يكون نموذجاً لإثبات أن العرقية والدين لا يمكنهما أن يسيطران على المشهد السياسي العراقي.

واشنطن - معهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنى

حقوق الترجمة محفوظة لـالميثاق

تمثل ٤٧٪ من مسلمي اليمن.. قبل إعادة توحيد اليمن في عام ١٩٩٠، كان الزيود يسيطرون على الحياة السياسية والثقافية في الجزء الشمالي من البلاد.

وبالرغم من أن التحول التلقائي في الميزان الديموغرافي لليمن بعد الوحدة واندمج الجنوب، الذي يشكل كل شواغع اليمن تقريباً، فإن النزاع بين المسلمين لم يمثل مشكلة، ففي واقع الأمر، أن اليمينيون غافلون عن العداوة السنية-الشيوعية، لذلك هم يدركون أن مصالح أفراد الطائفتين هي مصالح متناقضة.

التوترات الحالية بين اليمينيين هي في الغالب على المستوى القبلي وليس مهماً إذا كان الفرد سنياً أو شيعياً.. ولو أن القبائل الشيعية كانت مسيطرة لفترة طويلة على الحياة السياسية والقبليّة في

ممن الهجوم على الناقلّة الفرنسية في ٦ أكتوبر ٢٠٠٢.

فقد رحلت اليمن مئات من المهاجرين غير الشرعيين والإرهابيين المشتبه بهم، وبذلت جهوداً أكبر في مراقبة المساجد والجماعات الإسلامية، واتخذت جهوداً صارمة للسيطرة على حدودها ودشنت حملة محلية تحذر من آثار الإرهاب على الاقتصاد.

اليمن تقدم مثلاً جيداً لكيفية تمكن قوة أمنية عربية مدربة أميركياً من المحافظة على هويتها الوطنية والعربية القوية. فمثلاً، في ٥ نوفمبر ٢٠٠٢، وصل التعاون الأميركي اليمني ذروته عندما أطلقت طائرة بدون طيار تابعة للاستخبارات المركزية الأميركية على سيارة في صحراء مأرب كانت تقل ستة من عناصر القاعدة مما أدى إلى مقتلهم جميعاً.

وتلقت القوات اليمنية دعماً من القوات الخاصة الأميركية في عملياتها ضد مقاتلي القاعدة في منطقة حطاط. وقد أسست قوات الجيش اليمني علاقات أمنية قوية مع الولايات المتحدة بينما تحافظ على ثقافتها في أوساط شعب ليس متحمساً بالسياسات الأميركية في المنطقة. الجيش العراقي يواجه نفس التحدي في علاقته بالولايات المتحدة الأميركية.

## العلاقات الشيعية- السنية

لقد قبل الكثير من التوترات بين السنة والشيعة في العراق في ظل نظام صدام، حكمت الأقلية السنة على الأغلبية الشيعية الذين كانوا يتعرضون للاضطهاد. ومنذ عشرينات القرن الماضي، تزايدت مشاعر العداوة بين الجماعتين في العراق، عندما احتلت بريطانيا هذا البلد الوليد.

والتحدي الذي تواجهه الحكومة العراقية هو السماح بمشاركة سياسية شيعية أكبر بينما لا تقصي السنة تماماً عن المشاركة السياسية، وهم الذين فقدوا السلطة ليلة سقوط حكم صدام حسين. المشهد الإسلامي السائد في اليمن هو أيضاً مقسم بين مذهبين إسلاميين، الشافعية (طائفة سنية تمثل ٥٣٪ من مسلمي اليمن)، والزيدية (طائفة شيعية

ليس متوقفاً أن يصبح النظام العراقي قويا، فبإزدياد نفوذ البنية الاجتماعية في العراق يضعف أية سلطة مركزية، خصوصاً أن عوامل القبيلة والعرقية ستسيطر على السياسات العراقية جاعلة من مهمة أي رئيس صعبة جداً. وعلى الرغم من أنه يعيش في إطار نفس الظروف الاجتماعية والثقافية، فإن حكومة اليمن الضعيفة نسبياً مازالت تحافظ على فعاليتها منذ وصول الرئيس علي عبدالله صالح إلى السلطة في عام ١٩٧٨. حكومة الرئيس صالح ليست مقيدة بخطوط اقليمية أو طائفية أو قبلية صارمة، كما قالت السفارة الأمريكية السابقة بباربارا بوبدين: "بحفاظها على تشكيل حكومات متوازنة، تجنبت اليمن الانقسامات الطائفية والعرقية التي تجزئ حكومات أخرى في المنطقة وأعطت اليمينيين حصة مشاركة في الحفاظ على الدولة". بكلمات أخرى، على الرغم أن اليمينيين مدركون لهوياتهم الطائفية والقبلية والمناطيقية، إلا أن هذه الهويات ليست مرجعيتهم سياسياً.

ربما يحتاج العراق الجديد إلى بلورة سياساته بشكل مشابه، خصوصاً خلال السنوات الأولى من الحكم. فممن سقوط صدام حسين وخواء السلطة الناتجة يتزايد تدهور الشعب العراقي في أسس السلطة الأكثر أهمية: الأسرة، العشيرة والقبيلة.

ينظر إلى الشيوخ المحليين بأنهم الزعماء الأساسيين خصوصاً في المناطق الريفية. عدم الاستقرار الذي طال أمه يعذب العراق، وبالتالي يزيد من سلطة أولئك الشيوخ. ولذلك، عندما تخلى مجلس الحكم العراقي عن السلطة للرئيس العراقي الحالي، كان على الرئيس العراقي أن يفاوض السلطات المحلية لكي يتنازل عن تفويضهم.

الحال في اليمن يظهر أن وجود حكومة ضعيفة ليس بالضرورة أنها حكومة فاشلة. حتى إذا كانت تعتمد على نظام بدائي، فإن الحكومة اليمنية قادرة على أداء وظيفتها. أما الحكومة العراقية فإن تأثيرها يعتمد على قدرة الزعماء العراقيين على تعلم كيف يديرون سياسات القبيلة حتى يمكن للحكومة المركزية أن تكسب قوتها.

## ثالث الأرهاب

في اليمن تشكل المحافظات المتجاورة، مأرب وشبوة والجوف ثلثاً بانتشار عمليات الاختطاف والإرهاب والهجمات على المنشآت النفطية. فضلاً عن ذلك، فنتيجةً لحدودية نفوذ السلطة المركزية على تلك المناطق، فإنها معرضة لتأثير خارجي شنيع، يشمل الوهابيين السعوديين ومنتشدي القاعدة. إضافة إلى مشاكل اليمن الأمنية من حدودها الطويلة خصوصاً في الجوف التي تحاذي المملكة العربية السعودية.

حالياً العراق يصارع قضايا مشابهة. فالمستولون الأمريكيون يؤكدون أن أكثر المناطق التي ينتشر فيها العصابات في الفلوجة والرمادي وبعض الجيوب داخل ما يسمى بالمثلث السني، حيث التطرف والإرهاب هما السائدان. السلطات الأمنية تكافح عمليات التسلسل عبر مشنة الحدود العراقية مع سوريا والمملكة العربية السعودية وإيران. ونتيجة لذلك، تغلغت عناصر القاعدة ومقاتلون أجانب إلى العراق بنفس الطريقة التي تغلغلو فيها إلى اليمن من عام ١٩٩٨ إلى ٢٠٠٢ م. فخلال تلك الفترة، هاجمت عناصر القاعدة في اليمن أهدافاً غربية (الدمرة الأميركية يو إس إس كول- وناقلّة النفط الفرنسية ليمبورج) وأهدافاً محلية (فنادق وبنائعو المشروبات الكحولية والمحاكم).

وبشكل مشابه، كل من الأهداف الغربية والمحلية في العراق كانت ضحية هجمات إرهابية خلال الأعوام الماضية، فعلى الرغم من جاهزيتها الكاملة، فإن قوات الأمن العراقية ستكون فعالة عند اكتسابها خبرة من اليمن التي لم تشهد هجوماً إرهابياً كبيراً



أحدى الدوريات الأمنية في مأرب

## اليمنيات يكتسبن مهارات من مجالس المدارس

واشنطن - موقع وزارة الخارجية الأمريكية لعبت سناء التويتي دوراً ريادياً في إنشاء مجالس آباء في المنطقة التي تعيش فيها. منطقة مأرب في اليمن. كمدرسة رأت أن هناك حاجة لتواصل الآباء بالمدارس، عملت التويتي مع رجال الدين في منطقتها الذين يؤيدون التحاق المرأة بالتعليم الرسمي. معظم الفتيات في المنطقة يتركن المدرسة بعد الصف السادس. يقول مدير المدرسة: "نحن بحاجة لتشجيعهن على مواصلة التعليم".

تقول التويتي إن رجال الدين يخبرون سكان المنطقة أن "النساء شقائق الرجال ولهن الحق في الحصول على التعليم، ويقومون أيضاً بتشجيع الآباء على مقابلة الباحثين الاجتماعيين وتشكيل مجالس الآباء في المدارس". باجتماعهن في البيوت، تناقش التويتي وأمهات أخريات مواضيع مثل إصلاح المدارس واختلال البنين والبنات في المدارس ومشكلة نقص عدد المدرسات والفتيات ودورات المياه الصحية في المدارس، بالإضافة إلى تقديم مبالغ مالية للطلاب الفقراء.

الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية ساعدت المنطقة بتشكيل مجالس الآباء أيضاً في بناء فصول دراسية جديدة ودورات مياه صحية في المدارس. ورممت الوكالة أيضاً مدرسة الحسين بن علي في محافظة عمران بمساعدة الشيخ حاج الروني - ٧٠ عاماً. عندما ناقش خبراء تربويون يعملون مع الوكالة



حقوق الترجمة محفوظة لـالميثاق